كُنّاشة: (٣)

قصيدة "أحرم الحُجّاج"

ملاحظات على هامش التحقيق

إبراهيم عليّ السَّفسيف

أتحف المحقّق الشيخ الدكتور حسن بن عليّ آل سعيد المكتبة الحسينيّة بكتاب جديد حقّق فيه القصيدة الشهيرة "أحرم الحُجّاج" لفقيه أهل البيت(ع) الشيخ حسن بن محمّد الدمستانيّ(١١٨١هـ)، والذي صدر ضمن إصدارات مكتبة جلال العاليّ الخاصّة تحت عنوان "أحرم الحُجّاج.. مُسمّط الدمستانيّ في نظم مقتل الحسين(عليه السلام)" سنة ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م.

والحقيقة، إنّ القيمة العلميّة والعمليّة لهذا الكتاب لا تقف عند حدود تحقيق القصيدة تحقيقًا علميّا، وتخليص أبياتها من التحريف والتصحيف والزيادة وعدم الضبط اللغويّ. بل تتعدّاه إلى الترجمة الضافية -في المبحث الأوّل- لحياة الشيخ الفقيه الشخصيّة وسيرته العلميّة وآثاره الفكريّة التي تبرز مكانته بين أقرانه.

ومن باب التواصي بالخير، نسجّل بعض الملاحظات المتنوّعة بين المداخلة والاستدراك والمقترح على هامش هذا التحقيق، وهي تتمثّل في الآتي:

١. اختار المحقّق -في العنوان الجانبيّ لتوصيف القصيدة- لفظة "نظم"، ولا أعلم لِمَ لمْ يختر لفظ (مرثيّة/قصيدة) مثلًا. خصوصًا إذا علمنا أنّ (النظم) يُطلق على الشعر الذي راعى الوزن والقافية، وخلا من الخيال والعاطفة. مع أنّ القصيدة ملأى

بالعنصرين الأخيرين. بل يمكن القول: إنّ المعالجة الفنيّة في بناء القصيدة جاءت مبتكرةً كما نمطها الشعريّ غير المسبوق.

٢. خلص المحقّق إلى أنّ الدمستانيّ قد "أتى بما لم يُسبق إليه -على حدّ علمنا- فمازج بين نمطين من أنماط الشعر العربيّ والفارسيّ، فأخذ من العربيّ المسمّط، وأخذ من الفارسيّ التركيب بند، فنتج عن ذلك إبداعه نمطًا شعريًّا عربيًّا جديدًا، يمكن أنْ نسمّيه بـ(مسمّط مثمّن تركيبيّ)" (ص: ٥٥).

وهذه الخلاصة هي الوجه الآخر لما توصّل إليه الدكتور حسين مرعشيّ سنة ٢٠١٢م في أطروحته للدكتوراه عندما صرّح: "ولم نسمع أنّ أحدًا من الشعراء أنشد شعرًا فارسيًّا في هذا النمط". (الشعر العربيّ الدينيّ في إيران، ص: ١٩٠)

السؤال هنا، ما مدى دقّة قول المحقّق: "ولايبعد تأثّر الدمستانيّ -بحكم مكوثه في فارس مدّة لايُستهان بها- في قصيدته بقصيدة الشاعر الفارسيّ محتشم الكاشانيّ(٩٩٦هـ) التي تعدّ من أشهر مراثي الحسين(عليه السلام) باللغة الفارسيّة، وقد كُتبت على التركيب بند"؟(ص: ٥٥-٥٦)

وذلك حين نلاحظ أنّ شعر البند نشأ -أو على الأقلّ كان معروفًا- في جنوب العراق والأحواز والخليج في القرن الثاني عشر الهجريّ بحسب بعض الباحثين. ثمّ ألم يكن بالإمكان عقد مقارنة -ولو أوّليّة- بين الشاعرين لإثبات هذا التأثّر.

٣. اعتمد المحقّق في تحقيقه على أربع نسخ خطيّة لديوان الشيخ الدمستانيّ -الذي يحتاج إلى تحقيق علميّ-. وبحسب الفهرس الموّحد للمخطوطات الإيرانيّة(فخنا) توجد نسختان أخريان للديوان، الأولى في تهران: كتابخانة مليّ ملك، شماره نسخة: ١٨٠٧/٢٩، والثانية في تهران: كتابخانة محمود فرهاد معتمد، شماره نسخة: ٢١٦.

٤. أحصى المحقّق ٢٦ عملًا فكريًّا للشيخ الفقيه -يُنتظر أنْ يُجمع ما تبقّى منها تحت مسمّى "الأعمال الكاملة للشيخ الدمستانيّ-، ونستدرك عليه هذا العمل: الفتاوى الحسنيّة في العلوم المحمّديّة، في أحكام الطهارة والصلاة. وهو موجود في قمّ المقدّسة: كتابخانة عمومي آية الله مرعشي، شماره نسخة: ٢٣٥٠.

٥. كان من الأجدى أنْ يشرح المحقّق -ولو بعض أو أهمّ- ألفاظ مسمّط الدمستانيّ، لاسيّما أنّ الشرح قد يساهم في بيان علّة الضبط اللغويّ للمتخصّصين، فضلًا عن مساعدته تعرّف مرادات الشاعر لغيرهم.

٦. حبّذا لو وضع المحقّق مسردًا للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في تحقيقه، حيث إنّ ذلك أكمل لمحتويات الكتاب، وأجدى في تقييم جودة العمل التحقيقيّ.

هذه بعض الملاحظات التي نعتقد أنّها ستثري هذا العمل التحقيقيّ الجادّ والقيّم. مع خالص دعائنا للشيخ المحقّق الموفّقيّة والسداد في تحقيقاته وكتبه القادمة.

السبت: ٢٩ ذو الحجّة ١٤٤٥هـ/ ٦ يوليو ٢٠٢٤م